1 - 5 لئن اعتمدت الحكاية على التمثيل المسرحي الساخر في مواقف المناظرة، فإن حس المفارقة فيها قد ابتدأ من اسم الجارية ذاته. فالاسم (تودد) يعود إلى نسب دلالي ثري، فالود هو أحد أبواب الحب ومداخله، وهو باب من خمسة وخمسين بابا للعشق ـ ذكرها أو ذكر معظمها ابن قيم الجوزية[2]. والود يأتي كأرقى حالات المحبة، إنه (خالص الحب وألطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة)[3]. والود ـ كما يقول ابن القيم ـ أصفى الحب وألطفه)[4] ويتضمن الود معنى الجلب فتوددته تعني اجتلب وده، والتواد التحاب[5].

ومن هنا فإن اسم الجارية يحيل إلى دلالات التحاب والتصافي والتقرب والتودد: تودد.

هذا ما يدل عليه اسمها..

ولكن فعلها يعطي نقيض ذلك..

إنها لا تتودد إلى الرجال ولا تتحبب إليهم، وإنما تتحداهم وتسخر منهم وتقيم المجلس عليهم إضحاكا وسخرية، وتسل عليهم سيفا مجازيا بتارا، وهو لسانها البالغ البليغ.

ومن هنا تنشأ المفارقة بين الاسم بوصفه دالاً وبين مدلوله المتمثل في فعله.

والجارية الضعيفة صارت قوية. والفتاة التي بلا نسب ولا حسب ربطت نفسها بشجرة المعرفة فكانت ثمرة علمية لا نظير لها.

وهذه البنت الوحيدة المفردة صارت وحيدة في فعلها وفي علمها

(2) ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين 31 تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت 1987.

(3) السابق 62.

(4) السابق 63.

(5) القاموس المحيط، مادة (الود).